

نخب حائرة ومرتبكة.. مَنْ يعيد بناء الثقة والأمل؟

العالم ملك للجميع والأرض سفينة تبحر بنا معا



سيتغير وجه البشرية

التعظيم على انتشاره بداية، وبخاصة الاتهامات التي يطلقها الرئيس الأميركي دونالد ترامب ضد الصين. ليس هناك من شك في أن الأزمة العامة تفرض مسؤولية مشتركة للناس تجاه بعضهم بعضاً، فليس هناك أحد محصن في أي مكان ضد الوباء، ومن هنا يكون في رفض العمل مع الآخرين لمنع انتشار الفيروس تملص من المسؤولية الأخلاقية والإنسانية، ويحمل مخاطر يمكن أن تؤدي إلى تفاقم الوضع للجميع، بحيث يكون الجميع سواسية في التعرض للخطر والتهديد، ويكون في التعاون إجبارياً من أجل إنقاذ الذات والأخر.

**الأزمة العامة تفرض
مسؤولية مشتركة على
الناس تجاه بعضهم بعضاً،
فليس هناك أحد محصن
في أي مكان ضد الوباء**

كورونا يدشن بداية تغيير عالمي، ومن المأمول ألا يكون القرار الأخير فيه للشعبيين والعنصريين الذين يجدون زخماً فيه، يمكن أن ينعش آمالهم بالانغلاق على الذات واستعداد الآخر أكثر فاعلاً. كل شيء يتغير في ألمانيا، ومن ضمنه البيات الإنتاج والاستهلاك، سبل التفكير، دروب التخطيط للمواجهة، التغيير يفضي بسرعة، ومن الضروري، والمفيد ألا يطحن بعجلته النخب وصناع الرأي من الأدباء والفلاسفة والمفكرين، الذين يفترض بهم عدم إسفاح المجال لصناع القرار فقط لتوجيه دفة التغيير نحو الوجهة التي يريدونها، والتي تحفظ مصالحهم. من الواجب التأكيد على فكرة أن العالم ملك للجميع، والأرض سفينة تبحر بنا معا، ولا يمكن أن يستهتر أحد بسلامتها، لأن الغرض مصير الجميع معا. المشتركات أكثر مما يزعج الشعوب، ولا بد من التضامن للخلص. يبقى السؤال الأهم في يومنا هذا: مَنْ يعيد بناء الثقة والأمل؟

على أهمية الوعي بقيمة التعاون العالمي، وكيف أن وحدة المصير الإنساني ينبغي أن تكون في الصدارة، لأن الكوكب الأرضي بات على هيئة سفينة معرضة لخطر الغرق، ومساعي إنقاذها تقع على عاتق الجميع، ذلك أن من شأن الغرق أن يؤدي بالجميع.

بات الناس يدركون في هذه الجائحة، مدى أهمية الرعاية والقلق والاهتمام، وفي الوقت نفسه، باتوا يدركون مدى تصميم النظام السائد بالكامل على الاستهلاك والإنتاج من أجل الحفاظ على هذه الحلقة التي لا نهاية لها، وذلك بالتزامن مع إدراكهم مدى هشاشة النظام الرأسمالي الذي تم تكريس قيمه بطريقة تراكمية سريعة لم تفسح مجالاً كبيراً للمراجعة والمساءلة والتدبير والتقييم، بل اجتاحت بقوة ليفرض الباعة، وجاءت هذه الجائحة لتتذر بضرورة إعادة التفكير في التسلسل الهرمي الذي أفرزه هذا النظام العالمي.

يتبدى من الأهمية بمكان، التأكيد على فكرة أن الناس، هنا وهناك، وعلى الرغم من العزلة المفروضة على حركتهم الطبيعية، خاصة في الحجر الصحي، إلا أنهم يعرفون أن وحدة الحال تجمع بينهم، وأنهم يواجهون الحالة الإنسانية والنفسية معا، وبما أن وحدة الحال تكون الرابط المشترك بين الجميع، فإنها تفرض تلقائياً التفكير في وحدة المصير البشري الذي يبدو مهدداً، والذي يحتاج إلى تضافر الجهود من أجل إنقاذ الحياة الإنسانية، بعيداً عن أية صراعات أو تناحرات أو خلافات أو عداوات أو اتهامات متبادلة بتخليق الفيروس أو

ولعل الوباء يكون فرصة للأخريين كي يفكروا فيهم، ويتماهوا معهم وعسى أن يتفهموا حالات الاعترا ب والإحباط والتسرد والاستحاش التي تحاصرهم منذ سنوات، وتسجن أرواحهم في سجون قاهرة مهلكة.

كورونا حول الجميع إلى لاجئين، وإن كان ذلك بصفة مؤقتة، لكن الشعور بسدوم طويلاً، عساه أن يساهم بإعادة بناء الأمل من جديد، في أن معاناة المضطهدين والمسحوقين والمظلومين واللاجئين ستحظى باهتمام أكبر، باعتبار أن الإحساس بها يفرض إحساساً بالمسؤولية إزاءها، لتبديدها والتخفيف من وطأتها القاهرة.

نقد العولمة

أعاد الفلاسفة المعاصرون في ظل الأزمة الناجمة عن اجتياح الوباء للعالم طرح أسئلة عن الثقافة الاستهلاكية التي رسخها النظام الرأسمالي، وكيف تم تصدير الاستهلاك كمزية للعصر، حيث التسرعة في التلقف والإلقاء، في الإنتاج والاستهلاك، بعيداً عن أية ديمومة مفترضة، بل تصوير أية سياسات تنموية، أو سلوكيات تروم الاستدامة، على أنها بعيدة عن روح العصر، وغير متوافقة مع أساليب السوق السريعة، وعجلتها الدائرة، التي تطحن الجميع في مضمار الاستهلاك السريع.

كما أعاد الفلاسفة والمفكرون وضع العولمة على مشرحة النقد والتحليل والتفكيك، وجدوا مساءلاتهم للنظام العالمي الذي يبني على أفكار العولمة ويغذيها، بحيث إن الحدود التي اطاحت عادت إلى الواجهة بشراسة أكبر، وفرضت الانغلاق والانعزال من منطلق الحماية والوقاية، وهددت فكرة الوصاية العولمية من قبل القطب الأوح الذي بدأ مهزوزاً بدوره، ومرتبكاً في مواجهة الأزمة التي خلخلت استراتيجياته، وكشفت هشاشته التي كانت أحد تجليات سيادة ثقافة الاستهلاك بدورها.

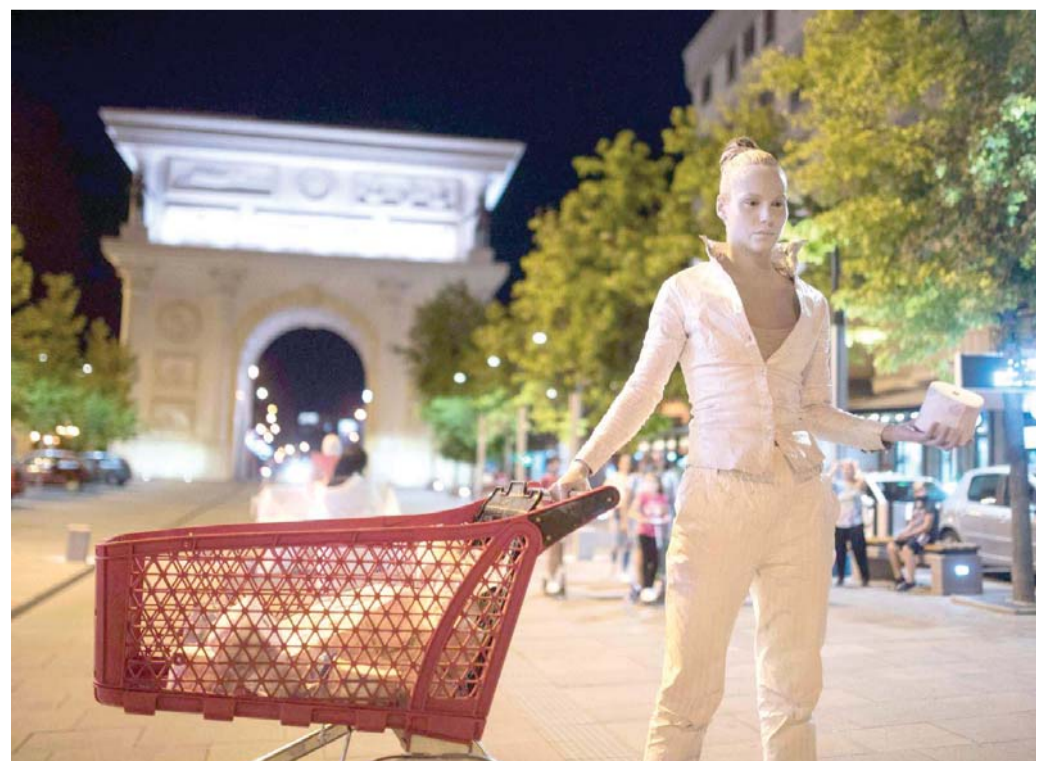
فرضت الجائحة سبلاً جديدة للبحث عن آليات مبتكرة للتصدي لها، وأوجبت توحيد الجهود لإدارة الأزمة العالمية، ولم تفسح أي مجال للتشفي بالآخر، لأنها ساوت بين الجميع في حربها عليهم، وتهديتها لهم، وأصبح الاختيار الحقيقي في إدارة الأزمة متركزاً

شاهد البحر المتوسط غرق عشرات الآلاف في السنوات القليلة الماضية من المهاجرين سراً، لكن ذلك صار يمر مرور الكرام في نشرات الأخبار، أصبحت أرقام الضحايا خبراً بسيطاً، لا يلفت العناية ولا يسترعى الاهتمام في وسائل الإعلام، أصبح اللاجئون ملعونين وكأنهم سبب المصائب التي تقع في الدول التي وصلوا إليها، وجد فيهم اليمين واليسار، هنا وهناك، ذريعة للتملص من مسؤولياتهما الآخر قد تخلق سبباً وجيهاً للإقناع، والانتقام على الواقع.

الكارثة الراهنة جعلت الجميع لاجئين في بيوتهم، يعانون في الحجر، ويبعدون أساليب التعايش مع العزل المفروض، وكثيرون من الناس لم يتمكنوا من استيعاب فكرة البقاء في ظل الحجر، شعروا بغربة في بيوتهم،

كتب قسم وعائني آخر، وظل قسم يتدحرف لنفسه سبل تطويع الغربة التي تداهمه في بيته وبين أهله.

اللاجئون يعيشون حالة العزلة والحجر والغربة المزمعة في حلهم وترحالهم، يعيشون محنة الوباء الذي تسببت فيه الدكتاتوريات لهم، وألقت بهم الحروب على قوارع الطرقات في مدن غريبة، وكانت الوحدة تنهش أرواحهم وهم وسط حشود مزدحمة من الناس في الحالات الطبيعية،



نقد النزعة الاستهلاكية

ليس كورونا مجرد فايروس يمكن مجابهته طبيياً وعلمياً فقط، بل تحول إلى مفاهيم جديدة عن الإنسان المعاصر، حيث مثل مناسبة لإعادة التساؤل حول الكثير من المفاهيم، لعل أبرزها حول علاقة الذات بالآخر، ومفهوم الفرد، والواقع المتناقض للعولمة التي وحدت بين شعوب العالم وقرقت بينهم في نفس الوقت. عديدة هي القضايا التي وضعت على طاولة التشريح اليوم وربما سنرى نتائج ذلك في القريب.



هشام حسين
كاتب سوري

لتقديم أطروحاتهم عنها ومقترحاتهم لتخطيها، وكشف الواقع المستجد أن البشرية تشهد تحولاً تاريخياً، وتمزق بمنعطف خطير، حيث يتبلور تصور جديد على وقع الأزمة المجتاحة، ينطلق من الصغ الموجدية ويبنى عليها، يلغي قيوداً ويضع أخرى تناسب الشكل الجديد الذي يمضي في تسارع إليه، والذي لا يزال محط أسئلة وتشكيك ومقاربة وتاويل.

جددت الجائحة تعريفات سادت لزمناً طويلاً، عن الذات والآخر، عن الهوية في عالم مضطرب، وكيف أن الآخر لم يعد الجحيم هنا، بل بات الشريك في مواجهة الآخر أخطر، آخر غير مرئي، شبحي يطوف في الأرض ويفتك بالبشر، ببد الأنانية، ورب مفهومي الأثرة والإيثار، الآخر أصبح الخطر، ولكنه ليس الخطر بمعناه السابق فقط، بل بمعنى مضاف، الفايروس المستجد أصبح الآخر، والآخر المستجد الحامل للفايروس أصبح كذلك تهديداً ضمنياً باعتباره حامل فايروس محتملاً، ولا يجدي أي هروب منه أو تنكيل به نفعاً، بل لا بد من مواجهته لتلافي الخطر المحقق بالجميع.

تتجلى إحدى طرق التفكير في الوباء من حيث قدرته على توحيد البشرية لمحاربة تهديد خارجي يكشف للجميع ضعفهم، ويبيدهم في قلق متجدد، ويجبرهم على تضافر جهودهم في جميع أنحاء العالم لمعالجة هذا المرض، عسى أن يكون هناك اكتشاف قريب لإيقافه، وهذا ما يجدي بعض الأمل بانتعاش الوحدة الإنسانية، لكنه من ناحية أخرى، يضم خطر تشكيل وحدات متباعدة، تتجسد في "التحن"، وال"هم"، من دون تجسير الفجوة بينها. صدرت أطروحات تدور في فلك الحيرة والتخبط والارتباك، لكن من

الأهمية بمكان التشديد على فكرة أن الوباء أرغم الناس على إعادة التفكير في أنفسهم، وفي وجودهم نفسه، وكيف أنه لا بد من إمام الحضارات من التكافل لتحقيق التكامل، وتوحيد القوى والجهود والدراسات والأبحاث من أجل إنقاذ الكوكب الذي يبقى الجميع شركاء فيه.

صمت عدد كبير من النخب الأوروبية على الكوارث التي تقع في منطقتنا، غصوا الطرف عنها، وكأنهم اعتبروا أن الحروب التي تهلل ملايين البشر هي مشكلتنا وماساتنا وعلينا التخلص منها بطريقتنا، ولكن ذلك لا يعفيهم من المسؤولية الأخلاقية، ومن مسؤولية تعرية النظام العالمي المساهم في تاجيح تلك الحروب والصراعات التي ولدت ملايين المهاجرين الذين توجّهوا صوب الفدوس الأوروبية، حيث يمكن أن يكون فردوسهم المتخيل.

تجديد المفاهيم

أجبر وبياء كورونا الذي يعتبر اختباراً وجودياً، وامتحاناً مصيرياً للبشرية، جميع الناس، في كل أرجاء المعمورة، على مواجهة أسئلة عميقة حول الوجود البشري، أسئلة سبق أن حاول الفلاسفة السابقون تقديم رؤاهم وتصوراتهم وآرائهم عنها بسبل مختلفة.

**جائحة كورونا أعادت طرح
الكثير من الأسئلة التي
تتجدد عبر التاريخ؛ أسئلة
نفسية وسياسية وأخلاقية
ووجودية أساسية**

ساد نوع من الاختلاف في المقاربة التعاطي مع الجائحة وتأثيراتها من قبل الفلاسفة المعاصرين الذين حاول كل منهم تفكيكها ومعالجتها وتناولها تبعاً لأدواته الفلسفية، وتوجهاته الفكرية، سواء كانت منتمية إلى هذا الاتجاه أو ذلك.

أعادت جائحة كورونا طرح الكثير من الأسئلة التي تتجدد عبر التاريخ، أسئلة نفسية وسياسية وأخلاقية ووجودية أساسية، تحرك الفلاسفة